الانتخابات رؤية شرعية (3)

الأحد 27 نوفمبر 2011 12:11 م

أ.د/ عبد الرحمن البر*

(3) ترشيح المرأة والأقباط

ترشيح وانتخاب المرأة:

ننتقل إلى قضية ترشيح المرأة في الانتخابات، تلك القضية التي كثر فيها الكلام ووقف قليل من الإسلاميين منها موقفا غير صحيح فيما أرى، حيث رأوا عدم جواز خروج المرأة للتصويت أو للترشيح بحجة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن تتسلم المرأة منصب الولاية العامة، حيث قال حين بلغه أن الفرس ولَّوا عليهم بُوران ابنة كسرى: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً» (أخرجه البخاري).

وكذلك يقول البعض: إن خروج المرأة للتصويت أو للترشح يخل بالضوابط الشرعية المتعلقة باختلاط المرأة مع الرجال في المجتمع الإسلامي، فالمرأة إذا تقدمت للترشيح أو التصويت تقع في بعض هذه المخالفات، وإذا صارت عضوا في البرلمان ربما تعرضت لمخالفة بعض الضوابط الشرعية في احتكاكها بالجماهير على اختلافهم، وبالتالي لا يجوز ترشيحها أو انتخابها.

وأقول: هذا كلام غير صحيح، لما يلي:

أولا: لأن تمثيل المرأة أو ترشيحها وتقدمها لتكون عضوا في البرلمان، ليس هو الولاية العامة التي جاء الحديث بالنهي عنها، إنما النيابة تدخل في باب الوكالة عن الأمة، ويمكن أن يقوم بهذه الوكالة الرجل، ويمكن أن تقوم بها المرأة التي تستطيع أن تعبر عن الأمة وعن حقوقها وعن واجباتها وتعمل على رفع الظلم عنها مثلما يستطيع الرجل.

ثانيا: أما قضية احتمال أن تخالف المرأة المسلمة الضوابط الشرعية، فهذا الأمر قائم في ممارسة كثير من الأحكام الشرعية التي هي جائزة، ومع ذلك لم يقل أحد بتحريم عمل جائز، خوفا من احتمال أن تقع مخالفة شرعية، فالمرأة تبيع وتشتري وتتعلم، وتكون طبيبة وممرضة في المستشفى ومهندسة في المصنع ومعلمة في المدارس وغير هذا، وتختلط في كل هذا بالرجال، وتستطيع أن تحفظ نفسها من المخالفات الشرعية في كل هذه الأمور، وكذلك تستطيع أن تحفظ نفسها من المخالفات الشرعية في الخروج للتصويت والترشح للانتخابات، وليس لنا أن نحرم المباح والحلال خوفا من احتمال وقوع المفاسد؛ فاحتمال وقوع المفاسد حاصل في كل حال وفي أي حال.

وبناء على ما تقدم، فأرى أن القول بعدم جواز الترشيح لا دليل عليه ولا أصل يعتمد عليه فيه، والأصل في الأشياء الإباحة، والأصل في التكاليف الشرعية أنها للرجال والنساء جميعا، إلا ما دل الدليل الصحيح على اختصاص أي من الجنسين به، ومن ثم فلا مانع من ترشح المرأة للانتخابات النيابية وخروجها للتصويت مع ضرورة التزامها بالضوابط الشرعية، خصوصا وأن هذا الترشح يضع المرأة المسلمة في معركة تواجه فيها النساء غير الإسلاميات اللواتي تصدين لقيادة جمعيات المرأة والتكلم باسمها وبعضهن متورطات مع موجة العولمة التي تريد إفساد مجتمعاتنا الإسلامية عن طريق إفساد المرأة، أو منبهرات بالتجربة الغربية في قضايا المرأة والأسرة، حتى إن بعضهن لا تستحي أن تجاهر برفضها لثوابت الإسلام ومبادئه، وتدعو إلى فرض القيم والقوانين الغربية في مجال الأسرة بدلا من قيمنا الإسلامية.

إن دخول المرأة حاملة المشروع الإسلامي إلى ساحة مواجهة النساء اللواتي يحملن مشروعا يعمل على إفساد المجتمع أصبح مطلبا ملحا، وهي أقدر من الرجل على ذلك، فدخولها يعد مسألة ضرورية لتحقيق مقاصد الشرع والمحافظة على نقاء مجتمعاتنا الإسلامية وعلى وضع المرأة فيها، وعلينا أن نساعد المرأة التي تحمل المشروع الإسلامي على أن تقود المجتمع النسائي نحو الإسلام وقيمه الحضارية وأخلاقه القيمة بإذن الله تبارك وتعالى، ومن وسائل ذلك أن نفسح لها الطريق لدخول البرلمان.

ترشيح وانتخاب الأقباط:

هذه مسألة أخرى من موارد الاجتهاد، ومن المسائل التي يثير البعض حولها جدلا، وخصوصا حين ينسب للشريعة عدم جواز انتخاب غير المسلمين ، مستدلا ببعض الآيات مثل قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [المائدة/51] وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [المائدة/57] وقوله تعالى (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) [النساء/141]

وهذه كلها -فيما أرى- استدلالات غير مُسَلَّمة، فإن المقصود بهذه الآيات وأمثالها المشركون والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين، الذين شرع الله عداوتهم ومقاطعتهم، ونهى المؤمنين أن يتخذوهم أولياء وأصدقاء وأخلاء، ولا يدخل في ذلك المسالمون الذين لم يعتدوا على المسلمين ولم يعينوا عليهم، وذلك هو ما دل عليه قوله تعالى (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (الممتحنة:8-9)

فإخواننا في الوطن من النصارى هم شركاء الكفاح، اختلطت دماؤنا جميعا بتراب هذا الوطن، واختلط عرقنا في مصانعه ومزارعه، وتقاسمنا همومه وتشاركنا في بنائه، وتشاطرنا الآمال في التطلع لمستقبل كريم يليق به، ومن ثم فللجميع ذات الحقوق وعليهم ذات الواجبات في خدمة هذا الوطن وتمثيل هذا الشعب في البرلمان وهنا أقول للإخوة المسيحيين: لا تسمعوا لمن يريد الوقيعة بينكم وبين إخوانكم في الوطن، ولا تعزلوا أنفسكم عن باقي جماهير أمتكم، وكونوا على يقين من أن عباءة الدولة أوسع وأكمل من عباءة الطائفة والمذهب، وثقوا بأن النظام الإسلامي أصون لحقوقكم من كل النظم الأخرى، وفي تاريخ مصر البعيد والقريب برهان واضح على ذلك
كلمة أخيرة أختم بها هذه المقالات:

إن أمتنا تتعرض اليوم لأشرس هجمة تستهدف دينها وهويتها وعاداتها وتقاليدها وخصائصها الحضارية والثقافية بالإفساد، وتستهدف عالمنا الإسلامي والعربي بالإذلال والإخضاع، وتسعى إلى صناعة حكومات ومجالس نيابية خاضعة لسياساتها وقراراتها، وإن مواجهة هذه المخططات الصهيوأمريكية على المستوى السياسي والاقتصادي والإعلامي والتعليمي والاجتماعي والأخلاقي، صار فرض عين على كل فرد من أفراد هذه الأمة، وقد بدأت تباشير النجاح في هذه المواجهة من خلال ثورات الربيع العربي الذي تتفتح أزاهيره ويؤتي ثماره يوما بعد يوم، وهذا كله يوجب على الأمة كلها المشاركة في دعم المرشحين الأكفاء الصالحين، الساعين إلى رفع رأس الأمة وإعادة مجدها، الساعين إلى تحقيق مصالح الجماهير، وحماية مقدرات الأمة، ومحاربة الفساد المالي والإداري، الحريصين على إقامة الحق والعدل، وتحقيق تكافؤ الفرص بين كل أبناء الأمة، وألا يتحكم المفسدون في مقدراتها إن من واجبنا أن نساعد هؤلاء الأكفاء الشرفاء، الذين يتقدمون لحمل الأمانة ومحاربة الظلم والفساد بكل صوره وأشكاله بكل جهد مستطاع

والذي يجب عليك عزيزي الناخب أن تختار أكثر المرشحين جدارة وكفاءة، ومن تتوسم فيه أن يحقق للوطن مصالح أكثر، ويدفع عنه ما استطاع دفعه من المضار، بعيدا عن العصبية أو الأهواء

---

* عميد كلية أصول الدين بالمنصورة، وعضو مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين، وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين